وعي المعرفة الدينيّة
بحث استشرافي للمباني والأسس المعرفية

علي أكبر رشاد
مفكّر وأستاذ جامعي في فلسفة الدين . إيران

ملخّص إجمالي:

يستند المقال في تبيينه لنظريَّة وعي المعرفة الدينيَّة الواقعيَّة (Theory of Realistic Religious knowledge consciousness) إلى مقدِّمات (Introductions\ Foundations) ومقوِّمات (elements necessary) تمَّ تبيينها في مجموعة من المبادئ والأُصول. أما الخلاصة الإجمالية لهذه النظرية فتقوم على ما يلي:

- المعرفة، هي عبارة عن عمليَّة حركيَّة متَّصلة، فاعل المعرفة وهو الحقُّ تعالى- وسائط ووسائل المعرفة- معِدّات المعرفة- موانع المعرفة - قابل المعرفة وهو الإنسان- متعلَّق المعرفة وهي الموجودات.

- تكوين وعي المعرفة يتمُّ وفق عمليَّتين: «طوليَّة - عموديَّة» و«عرضيَّة - أفقيَّة»، حيث تحصل نتيجة الترابط مع العناصر الستة المذكورة أعلاه.

- تبدأ صيرورة المعرفة «الطوليَّة - العموديَّة» من «الصّقع الربوبيِّ»، وتتنزَّل إلى مرتبة الإنسان (قوس النزول)، من خلال عمليَّة خاصَّة تتناسب مع كلِّ وسيلة من وسائل المعرفة.

تتمُّ صيرورة المعرفة «العرضيَّة - الأفقيَّة» التي تتعلَّق بالعناصر الأربعة، في الساحة البشريَّة متناسبةً مع مقتضيات النشأة الناسوتيَّة، وتتكوَّن من خلال التفاعل بين عناصر أربعة، (الثاني، الثالث، الرابع والسادس)، أي: وسائط ووسائل المعرفة، معِدّات المعرفة، موانع المعرفة، متعلَّق المعرفة.

- يجب إدارة العوامل الدخيلة في تكوُّن المعرفة بشكل صحيح من أجل تحقيق الوعي القدسيِّ أو المعرفة المقدَّسة التي هي المعرفة الصائبة والصحيحة.

- إنَّ إنتاج العلم الدينيِّ تابع لهذه العمليَّة والآليَّات المذكورة أعلاه في تبيين نظريَّة المعرفة للواقعيَّة الدينيَّة.

مفردات مفتاحيَّة: فاعل المعرفة؛ نظريَّة المعرفة؛ وعي المعرفة الدينيَّة؛ العلوم الدينيَّة- الوحي الرسالي.

(*)- علي أكبر رشاد، عالم ومفكِّر إسلاميٌّ إيرانيٌّ، يرأس المجمع العلميَّ العالي للثقافة والفكر الإسلاميِّ، له 36 مؤلَّفًا، أبرزها كتاب "فلسفة الدين"، الذي أراد من خلاله التأسيس لنظريَّاته المعرفيَّة، كرَّمته اليونسكو، الإيسيسكو والمراكز العلميَّة في إيران لطرح «نظريَّة الابتناء»، وهي نظريَّة معرفيَّة تسعى لتصحيح أو تكميل النظريَّات المعرفيَّة البنائيَّة الكلاسيكيَّة والتي تقوم أساسًا على تأسيس منطق فهم للدين.

ـ المصدر: مجلة ذهن العلمية المحكمة، العدد 87، طهران، خريف 2020م.

ـ ترجمة: علي هاشم ومحمود صالح.

علوم المبدأ
العدد الثامن - 1445هـ - شتاء 2024م

تمهيد

يهدف هذا المقال إلى تقديم أطروحات حول «الأسُس والمباني المعرفيَّة لإنتاج العلم الدينيِّ» والتي نطلق عليها تواضعًا نظريَّة «وعي المعرفة الدينيَّة الواقعيَّة [1]»، وهي نظريَّة تبتني على قواعد وأسُس تقعيديَّة جُمِعت في مبادئ وأصول ثمانية:

الأصل الأوَّل:

- يرتبط تكوُّن المعرفة، كظاهرة، بالعناصر الستة التالية:
- فاعل المعرفة (knowledge subject)؛
- وسائط ووسائل المعرفة؛ (knowledge tools)
- معِدّات المعرفة؛(Equipment of knowledge)
- موانع المعرفة (knowledge contraindications)؛
- قابل المعرفة وهو الإنسان؛ (recognizer)
- متعلَّق المعرفة (known) بالذات أو بالعرض.

الأصل الثَّاني:

إنَّ تكوُّن المعرفة في وجود الإنسان عبارة عن عمليَّتين «طوليَّة - عموديَّة» و«عرضيَّة - أفقيَّة» وهي مرتبطة بالعناصر الستة المذكورة؛ تبدأ العمليَّة «الطوليَّة - العموديَّة» لتكوين المعرفة بـ «الصقع الربوبيِّ» وتسلك طريقًا وطورًا مناسبًا لكلِّ أداة من الأدوات الخمس («الفطرة»، «العقل»، «الوحي الرساليّ» والتشريعيّ، «الوحي الإنبائيّ»، و«السنّة؛ قولاً وفعلاً»، و«الشهود» و«الإلهام»)، إلى أن تنتهي في «ساحة الإنسان». كما أنَّ العمليَّة «العرضيَّة - الأفقيَّة» تحدث وتتشكَّل في الساحة البشريَّة، وهي النشأة الماديَّة، وفي سياق التفاعل بين عناصر العمليَّة العرضيَّة لتكوّن المعرفة، (الثالث والرابع والخامس والسادس من العناصر الستة)، أي: معِدّات المعرفة، موانع المعرفة، قابل المعرفة وهو الإنسان، متعلَّق المعرفة.

الأصل الثَّالث:

إنَّ الحق تعالى هو المبدأ والفاعل الحقيقيُّ للمعرفة؛ باعتباره الغنيَّ على الإطلاق. وتشكِّل

[1]-- المعنى الحرفيُّ لهذه النظريَّة هو الاتجاه الواقعيُّ في نظريَّة المعرفة الدينيَّة، لكن طبيعة المقال ومضمونه جعل انتخاب العنوان المذكور في المقال أعلاه أفضل. المترجم.

المعارف، جميع المعارف، رسائل ربوبيَّة إلى العباد، حيث تصدر من الصقع الربوبيِّ ومنشأ الوجود لتتنزَّل إلى الساحة البشريَّة عبر مجارٍ معرفيَّة محدَّدة متزامنةً مع عمليَّة مناسبة لكلِّ مجرىً من المجاري، إذ:

- إنَّ خزائن كلِّ شيء، بما في ذلك العلم والمعرفة، مختزنة في الصقع الربوبيِّ ومحضر الحقِّ وتتنزَّل إلى الساحة البشريَّة بقدَرٍ معلوم: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾[1].

- مفاتح الغيب في حضرته تعالى: ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[2].

- يولد الإنسان صفحةً خالية من أيِّ علم سوى هذا العلم الفطريِّ الذي يدعوه إلى البحث عن حاجاته[3]؛ لكنَّ الباري تعالى زوَّده ووضع في اختياره أدوات حسّيَّةً - عقليَّةً والتي إذا استخدمها بالنحو الصحيح تكون مهبطًا لنزول المعرفة عبر مجاريها المقرَّرة[4]: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[5].

المعرفة الفطريَّة الواعية وصبغة الوجود الإنسانيّ

المعرفة الفطريَّة عبارة عن إدراكٍ وجوديٍّ ووعي صيرورة، أصلُه ومنشؤه مستبطنٌ في نحو الوجود الإنسانيّ[6]. وعليه، فإنَّ بعض الادراكات والمشاعر والأحاسيس الفطريَّة تظهر وتبرز حتى قبل الولادة، وكذلك أثناء فترة الجنين؛ لكنَّ «العقل» (الأفئدة) و«الحواسَّ» (السمع والبصر) أدوات معرفة في مرتبةٍ متأخِّرة عن المعرفة الفطريَّة؛ ولذلك فإنَّ المعرفة المستمدَّة من العقلانيَّات والحواسِّ

---

[1]- الحجر، الآية: 21.

[2]- الأنعام، الآية: 59.

[3]- هناك خلاف بين العلماء في أنَّ الإنسان يولد خاليًا من أيِّ علم أم يكون لديه رصيد ولو ضئيل فطريٌّ يقوم من خلاله وبمساعدة الحواسِّ بتنميته وتكثيره، وهو ما يسمّى العلم الفطريَّ لقول النبيِّ صلّى اللّه عليه وآله ما من مولود إلَّا يولد على الفطرة وإنما أبواه هما من يمجِّسانه أو يهوِّدانه أو ينصّرانه. وهذا على مستوى المعرفة الدينيَّة، وأما على مستوى المعرفة البشريَّة فهناك المعارف الأوليَّة التي هي أساس المعرفة الإنسانيَّة. راجع في ذلك: حسين زاده محمد، نظريَّة المعرفة والمعرفة الدينيَّة، ص: 24.

[4]- مجاري المعرفة إنمَّا هو اصطلاح يشير إلى الهندسة النزوليَّة للقوس الوجوديِّ، بدأ من العقل الفعَّال ونهاية بالوعي والعقل والمخيّلة والنفس. المترجم.

[5]- النحل، الآية: 78.

[6]- ونحو الوجود يشير إلى نسبة الفيض وقابليَّات التلقّي، لقوله تعالى ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾. الرعد، الآية: 177، وللحدث المنقول عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل آتيه وأكلّمه ببعض كلامي فيعرفه كلّه، ومنهم من آتيه فأكلّمه بالكلام فيستوفي كلامي كله ثم يرده علي كما كلّمته، ومنهم من آتيه فأكلّمه فيقول: أعد علي؟!
فقال: يا إسحاق! وما تدري لم هذا؟ قلت: لا، قال: الذي تكلّمه ببعض كلامك فيعرفه كلّه فذاك من عجنت نطفته بعقله، وأما الذي تكلّمه فيستوفي كلامك، ثمَّ يجيبك على كلامك فذاك الذي ركب عقله فيه في بطن أمه، وأمَّا الذي تكلّمه بالكلام فيقول: أعد علي، فذاك الذي ركب عقله فيه بعدما كبر، فهو يقول لك:
أعد علي. الكليني محمد بن يعقوب، الكافي، ج1، ص: 26. المترجم.

العدد الثامن - 1445هـ - شتاء 2024م

لا يمكن أن تتشكّل من دون فعاليَّة الأدوات المعرفيَّة[1]؛ وهذا ما يؤكِّده نصُّ الآية، فالمعرفة العقليَّة والمعرفة الحسّيَّة معرفتان متأخِّرتان تحتاجان إلى أدوات معرفيَّة ووسائط انتقال (أدوات)، وتحليل (قوى نفسيَّة)، فهي الدعامة الأساسيَّة لصرح الإنسان المعرفيّ[2]، من هنا، تظهر وتبرز بعد الولادة وبعد اكتساب الأدوات المعرفيَّة كـ «الأفئدة» و«السمع والبصر».

- علّم الله تعالى الإنسان كلَّ ما لا يعلمه:[3] ﴿**عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ و﴿ **فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾[4].

- جعل الله الحكيم الكتاب والحكمة في متناول البشر من خلال الوحي أولاً، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾[5]، ومن ثمَّ الأنبياء عليهم السلام: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ**﴾[6].

- العقل والنقل والشهود، كلُّها طرق لمعرفة الحقيقة: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ**﴾[7].

- جعل الله جلّ وعلا، الإضافة إلى موهبة العقل والنقل والشهود، كشف ومعرفة الحقِّ من خلال التجربة (experience of religion)، والمعرفة الآفاقيَّة (objective) والأنفسيَّة (subjective): ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾[8].

- المعرفة الإنسانيَّة محدودة، وما يتنزَّل إلى الساحة الإنسانيَّة قليل: ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[9].

- إنَّ لكلِّ مجرىً من المجاري الخاصَّة لتنزُّل المعرفة ما يناسبها من «الطور الإفاضي» حركة

---

[1]- وهذا ما يسمّى بالعلم الحسّيّ. المترجم.

[2]- فعن الإمام الصادق عليه السلام: دعامة الإنسان العقل، والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالمًا، حافظًا، ذاكرًا فطنًا، فهما، فعلم بذلك كيف ولم وحيث، وعرف من نصحه ومن غشّه، فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله، وأخلص الوحدانيَّة لله، والإقرار بالطاعة فإذا فعل ذلك كان مستدركًا لما فات، وواردًا على ما هو آت، يعرف ما هو فيه، ولأيِّ شيء هو ههنا، ومن أين يأتيه، وإلى ما هو صائر، وذلك كلّه من تأييد العقل. الكليني محمد بن يعقوب، الكافي، ج1، ص: 25. المترجم.

[3]- العلق، الآية: 5.

[4]- البقرة، الآية: 239.

[5]- الشورى، الآية: 51.

[6]- الجمعة، الآية:2.

وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: هو (الله) أجل من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة لأنَّ ذلك صفة المخلوق الذي لا تجيء الأشياء له إلَّا بالمباشرة والمعالجة، وهو متعالٍ نافذ الإرادة والمشيئة، فعال لما يشاء. الكليني محمد بن يعقوب، الكافي، ج1، ص: 85.

[7]- ق، الآية: 37.

[8]- فصّلت، الآية: 53.

[9]- الإسراء، الآية: 85.

الفيض الإلهيَّة في قوس النُّزول، و«المهبط» قابليَّة المتلقّي واستقرار الفيض. فعلى سبيل المثال، يتنزَّل الوحي بأحد أطوار ثلاثة: ﴿**ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾[1].

الأصل الرَّابع:

إنَّ الترابط المعرفيَّ بين العبد والربِّ ومواجهة العباد في حضرة الحقِّ تعالى يتشكَّلان بأنساق وجوديَّة متجاذبة بين دلائلَ ودوالٍ مختلفة كرسائل وإشارات نذر من رسائل وإشارات المعرفة بالحقائق؛ فلا يتّصل الله بالإنسانً من خلال نسق واحد، ولا يصل الإنسان إلى الله من خلال نسق واحد فقط، إذ المعرفة الكليَّة لا تقتصر أبدًا علَى نسق واحد أو مجرى الواحد، كما أنَّ المعرفة الكاملة بجميع الحقائق لا يمكن لغير المعصوم (ع) أنً يحصل عليها إلَّا من خلال الاستفادة الكاملة من مجموع مجاري ومصادر المعرفة الخمسة؛ أمَّا المعصوم فيصل إلى كلّ الحقائق من خلال كلّ واحد من الطرق، فضلاً عن الروح السادسة المسمَّاة بروح القدس[2].

الأصل الخامس:

رغم أنَّ إفاضة المعرفة تتمُّ من خارج الوجود الإنسانيِّ إلّا أنَّ بعض مجاري المعرفة داخليَّة (أنفسيَّة)؛ أي أنَّها متأصِّلة في وجود الإنسان، كـ«الفطرة» و«العقل»، وبعضها الآخر خارجيٌّ (آفاقيٌّ) أيضًا؛ أي أنَّ مدلولهم خارج وجود الإنسان، من قبيل «الوحي التشريعيِّ»، و«الوحي الإنبائيِّ» والسنَّة القوليَّة والفعليَّة، و«الشهود» والإلهام.

---

[1]- تقوم هذه الفكرة على أسُس وبراهين نظريَّة أصالة الوجود ونتائجها، كما أنَّ التوحيد المعرفيَّ، أي «التوحيد في العلم» وأنَّ أصل المعرفة والعلم من الله يفيد ذلك أيضًا.

[2]- إنَّ الأرواح خمسة وهي روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوَّة، وروح الشهوة، وروح المدرج، فالثلاثة الأخيرة منها بالنسبة إلى التكوين والأوَّلان بالنسبة إلى التشريع، والخمسة مجتمعة في الأنبياء والأولياء، والأربعة الأخيرة في المؤمنين والثلاثة الأخيرة في المنكرين حيث سلبهم الله روح الإيمان وأسكنهم أبدانهم ثلاثة أرواح: روح القوَّة، وروح الشهوة، وروح البدن، ثمَّ أضافهم إلى الأنعام؛ لأنَّ الدابّة إنمّا تعمل بروح القوَّة، وتعتلف بروح الشهوة، وتسير بروح البدن.

وأمّا روح الايمان فبه آمن المؤمن وعدل، وبروح القدس حمل الأنبياء النبوَّة، فإذا قبض النبي انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا يغفل ولا ينام ولا يلهو ولا يزهو. الكليني محمد بن يعقوب، الكافي، ج1، ص: 271.

وعن الإمام الباقر (ع): إن الأوصياء (ع) محدثون يحدِّثهم روح القدس ولا يرونه، وكان علي (ع) يعرض على روح القدس ما يسأل عنه، فيوجس في نفسه أن قد أصبت الجواب، فيخبر به فيكون كما قال.

وعن المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره؟ فقال: «يا مفضل إن الله تعالى جعل في النبي (ص) خمسة أرواح: روح الحياة وبها دب ودرج، وروح القوة فبها نهض وجاهد عدوه، وروح الشهوة فبها أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبها أمر وعدل، وروح القدس فبها حمل النبوة.

ولما قبض النبي (ص) انتقل روح القدس فصار في الإمام (ع)، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأربعة الأرواح تنام وتله وتسهو، وبروح القدس كان يرى ما في شرق الأرض وغربها وبرها وبحرها « قلت: جعلت فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟ قال: « نعم، وما دون العرش.

وعن أبي جعفر (ع) قال: «إن الله عز وجل خلق الأنبياء والأئمة (ع) على خمسة أرواح: روح الإيمان، وروح القوة وروح الشهوة، وروح الحياة، وروح القدس، فروح القدس من الله عزَّ وجلَّ، وسائر هذه الأرواح يصيبها الحدثان، وروح القدس لا يلهو ولا يتغيرَّ ولا يلعب، فبروح القدس يا جابر علمنا ما دون العرش إلى ما تحت الثرى «الحلي الحسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات، ص: 64.

علوم المبدأ
العدد الثامن - 1445هـ - شتاء 2024م

الأصل السَّادس:

يتمُّ تنظيم تنزُّل المعرفة من رأس المرتبة في «الصقع الربوبيِّ» إلى المرتبة الدنيا «الساحة البشريَّة» بالمرور من خلال كلِّ واحد من الأنساق بالطور الإفاضيِّ المناسب لها، وتوظيف «منزل»، واستخدام الوسائط والوسائل المحدَّدة في نسقٍ معينَّ من الحكمة \ المعرفة:

1. الفطرة، وتبرز في الإنسان بنسق «مرشد وجوديٍّ» ومسار ناشئ من نحو وجود الإنسان، وهي عبارة عن مجموعة إدراكات وتمايلات فطريَّةً داخل الوجود الإنسانيِّ يمكن تظهير مخرجاتها بهيئة «الحكمة الفطريَّة».

2. العقل، ويبرز في الإنسان بنسق «إلهام عقليٍّ» عبر استخدام القوَّة الناطقة المقوّمة[1] من جانب الواجب تعالى، في قالب إدراكات وانفعالات عقليَّة[2] يمكن تظهير مخرجاتها بهيئة «الحكمة العقليَّة».

3. الإشراق، ويتجلَّى في «الإشهاد الباطنيِّ» من قبل الحقِّ تعالى في قلوب المستعدّين بنسق

---

[1]- المقوّمات الذاتيَّة للإنسان هي العناصر التي تشكّل له الجنس والفصل المطقيَّين، أي أنَّ الجنس هو كليٌّ مقول على الكثرة المختلفة في الحقيقة في جواب ما هو؟ كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان والفرس وسائر الحيوانات، فهذه كليَّات مختلفة الحقيقة تشترك في ما بينها بماهيَّة الحيوان، إذًا فالجنس يشتمل على الماهيَّة المشتركة بين كثيرين مختلفين في الحقيقة.
كما أنَّ الفصل هو كليٌّ يتناول جزء الماهيَّة المُمَيِّز للنوع عمَّا يشاركه في جنسه، كسؤالنا: أيٌّ مُمَيِّز للإنسان عن سائر أنواع الحيوان معبراً عن ماهيَّته.
فيكون الجواب بأنَّه: ناطق، فالفصل مُمَيِّز للنوع عن بقيَّة أنواع جنسه بجزء من ماهيَّته.
والنوع الذي هو الجنس والفصل عبارة عن هو كليٌّ مقول على الكثرة المتَّفقة في الحقيقة في جواب ما هو، كالإنسان والذهب، فالإنسان يصدق على كثيرين متّفقين بالحقيقة، مثل: محمد، واحمد، وعلي، ...الخ، فكل واحد منهم يصدق عليه أنَّه إنسان، وكذلك الذهب يصدق على الكثرة المتفقة الحقيقة، كالقرط، الخاتم، والسوار، ...الخ، فكل واحد منها يصدق عليه انَّه ذهب.
إذا فالنوع يشتمل على الماهية المشتركة بين كثيرين متَّفقين في الحقيقة. المترجم.
[2]- الإدراكات إشارة لمدركات العقل النظريِّ، وانفعالات إشارة لمدركات العقل العمليِّ، وأمَّا تفسيرهما فهنالك رأيان في تفسير معنى العقل النظريّ والعقل العمليّ:
يذهب الرأي الأوّل إلى أنّ العقل هو مبدأ الإدراك، ولا يوجد في هذا الصدد أيّ فارق بين العقل النظريِّ والعقل العمليِّ، وإنمّا يكمن الفارق في الهدف؛ فإذا كان الهدف من إدراك الشيء هو معرفته لا العمل به، يُسمّى مبدأ الإدراك حينئذٍ بالعقل النظريِّ، من قبيل إدراك حقائق الوجود، أمّا إذا كان الهدف من الإدراك هو العمل، فيسمّى مبدأ الإدراك عند ذاك بالعقل العمليِّ، من قبيل معرفة حسن العدل وقبح الجور، وحسن الصبر وقبح الجزع، وما إلى ذلك. وقد نُسب هذا الرأي إلى مشاهير الفلاسفة، ويمثّل العقل العمليُّ ـ وفقًا لهذا الرأي ـ مبدأ للإدراك وليس كمحفّز أو دافع.
ويذهب الرأي الثاني إلى القول بأنّ التفاوت بين العقل النظري والعقل العملي تفاوت في الجوهر؛ أي في طبيعة الأداء الوظيفي لكلّ منهما؛ فالعقل النظري هو عبارة عن مبدأ الإدراك سواء كان الهدف من الإدراك هو المعرفة أم العمل، والعقل العملي مبدأ للدوافع والمحفزات لا الإدراك، ومهمَّة العقل العمليِّ هي تنفيذ مدركات العقل النظريِّ. وهذا المعنى أشار إليه المؤلِّف أعلاه.
وأوّل من قال بهذا الرأي ـ على الأشهر ـ هو ابن سينا، ومن بعده قطب الدين الرازي صاحب المحاكمات، وأخيراً المحقّق النراقي صاحب كتاب «جامع السعادات». راجع: برنجكار رضا، موسوعة العقائد الإسلامية، ج1، ص: 166.
وبعبارة أكثر وضوحًا العقل العمليِّ بحسب اصطلاح المناطقة هوَ المعبرَّ عنهُ بالحسن والقبح عند المتكلّمين، والمعبرّ عنه بالخير والشّر عند الفلاسفة، والمعبرّ عنه بالفضيلة والرّذيلة في اصطلاح علماء الأخلاق، فالعقل العمليّ هو المدرك لـما ينبغي فعلُه وإيقاعه أو تركه، فالعدل مثلاً مـمّا يدرك العقل حسنه وأنه ينبغي فعلُه، والظّلم مـما يدرك العقل قبحه وأنه ينبغي تركه.
وأمَّا العقل النظريُّ فهو العقل المدرك للواقعيّات التي ليس لها تأثير في مقام العمل إلّا بتوسّط مقدمة أُخرى، كإدراك العقل لوجود الله تعالى، فإنّ هذا الإدراك لا يستتبع أثرًا عمليًّا من دونَ توسّطِ مقدّمةٍ أُخرى، كإدراك حقِّ المولويّة، وأنَّ الله جلَّ وعلا هو المولى الحقيق بالطّاعة. المترجم.

وإردات قلبيّة يمكن تظهير مخرجاتها بهيئة «الحكمة الذوقيّة» (العرفان النظريّ).

4. الوحي، ويتجلّى عبر إفاضة خاصّة بنسق معرفيٍّ خاصٍّ أساسه «الإيحاء» من قبل الحقِّ تعالى والمبدأ الأعلى لنبيِّ الشّريعة ومترجم الحقيقة بأيِّ نحوٍ كان من أنحاء النسق هذا[1]؛ كما يمكن تظهير مخرجاتها بهيئة «الحكمة النقليّة».

السّنّة، وهي المراتب الدنيا من الوحي إلى المعصوم عليه السلام باعتبار أنّه الأمين على نقل المراد الإلهيِّ إلى البشر كما نزل ليبيّن للناس ما نزّل إليهم. قال تعالى ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2]، فهو ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ**﴾[3]، كما يمكن يمكن تظهير مخرجاتها «سنّة قوليّة» - « سنّة فعليّة» بهيئة «الحكمة النقليّة».

هرم إفاضة المعرفة

تمثّل الطرق المعرفيّة هذه (المجاري) والأنساق الخاصّة بها بما تكتنزه من التجاذبات بين الطور الإفاضي والمنزل المستقرّ، هرمًا هندسيًّا لعمليّة تنزُّل المعرفة من «حضرة الحقِّ تعالى» والصّقع الربوبيّ إلى البريّة والحضرة البشريّة بتوازي وتناغمٍ بين الغيب والشهود والعقل والحسّ. (الدين والحكمة).

كما أنّ جميع الطرق (المجاري) لها مراحل وعمليّات متشابهة إلى حدٍّ ما:

الصقع الرُّبوبيّ؛

طور الإفاضة؛

المحل والمهبط (المنازل المستقرّة)؛

القالب والصورة المفاضة؛

التمظهُر (الحِكَم).

ويمكن بيان مجموعة الطرق والأنساق وعمليّات نزول المعرفة ونضجها في الجدول التالي:

---

[1]- أي إما الوحي مباشرة أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً. المترجم.
[2]- النحل، الآية: 44.
[3]- النّجم، الآية: 3.

طرق ومجاري المعرفة	طور الإفاضة	مهبط المعرفة	الصورة المُفاضة	الجهاز الحكميّ والمعرفيّ
طريق ومجرى الفطرة	الإرشاد الوجوديّ	الوجود البشريّ	الإدراكات، الاحساسات والأفعال الفطريَّة	الحكمة والمعرفة الفطريَّة
طريق ومجرى العقل	الإرشاد العقليّ	عقول البشر	الإدراكات، الانفعالات العقليَّة	الحكمة والمعرفة العقليَّة
طريق ومجرى الشهود	الإشهاد الباطنيّ	قلوب البشر	المعارف الشهوديَّة	الحكمة والمعرفة الذوقيَّة
طريق ومجرى الوحي	الإيحاء	الرَّسول، صاحب الشريعة	كلام الوحي	الحكمة والمعرفة النقليَّة
طريق ومجرى الوحي	الإنباء	الرَّسول، النبيّ، الوليّ المعصوم	سنّة المعصوم	الحكمة والمعرفة النقليَّة

الأصل السَّابع:

عندما تحصل «الصيرورة الطوليَّة» الأوّليَّة التّنزُّليَّة في قوس النّزول لإفاضة المعرفة من الصقع الرُّبوبيِّ إلى الساحة البشريَّة - وهي النشأة المادّيَّة - تتفاعل معها جميع «العوامل العرضيَّة» (قوابل وفواعل) الدّخيلة في تكوُّن «المعرفة الإنسانيَّة» لا محالة؛ فيشكِّل التفاعلُ الأفقيُّ بين القوابل والفواعل « والتي هي المنازل المستقرَّة للإفاضة الطوليَّة، أي الصيرورة الأفقيَّة» الثانويَّة إرهاصات تكوُّن المعرفة، فلأجل تحقيق «الوعي والمعرفة القدسيَّة» وهي المعرفة الصائبة، لا بدَّ من إدارة هذه العوامل بشكل صحيح، وإلّا فلن يدرك الإنسان الحقَّ والمعرفة الحقيقيَّة[1].

[1]- فمثلاً، في الرواية عن الإمام علي (ع) يقول : يا طالب العلم إن للعالم ثلاث علامات العلم والحلم والصمت وللمتكلِّف ثلاث علامات ينازع من فوقه بالمعصية ويظلم من دونه بالغلبة ويظاهر الظلمة.

وعن الإمام الصادق (ع) قال: « طلبة العلم ثلاثة فأعرفهم بأعيانهم (أي بخواصهم وأفعالهم المخصوصة بهم أو بالشاهد والحاضر من أفعالهم) وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء مؤذ ممار متعرض للمقال في أنديه الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق اللَّه من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فأعمى اللَّه على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى(أي يعمل بما كلف به ويخشى الله مع كونه عاملا ويخاف أن لا يكون عمله على خلوص يليق بعبادته أو أن لا يديمه له . وجلا خائفا من سوء عقابه داعيا طالبا منه سبحانه التوفيق للاهتداء بالهداية والثبات على الايمان ونيل السعادة الأبدية من مغفرته وعفوه مشفقا من الانتهاء إلى الضلال والشقاء وسوء العاقبة مقبلا على شأنه وإصلاح حاله حذرا مما يشفق منه عارفا بأهل زمانه فلا ينخدع مستوحشا من أوثق إخوانه لما يعرفه من أهل زمانه) وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شأنه عارفا بأهل زمانه مستوحشا من أوثق إخوانه فشد اللَّه من هذا أركانه (أي أصلح حاله في الدنيا بإفاضة المعرفة وإكمال العقل وتمكنه من إعمال العلم والعمل على وفقه) وأعطاه يوم القيامة أمانه ». الكاشاني الفيض، الوافي، ج1، ص: 167. المترجم.

بعبارة أخرى، إنَّ الإفاضات الحاصلة من خلال العمليَّة الطوليَّة ترتبط بـ «ذهن» الإنسان و«لسانه» والعوامل الفاعليَّة فيهما؛ من هنا، تواجه المعرفة القدسيَّة خللاً جوهريًّا في التنزُّل ويمتنع الفيض بالتّأثُّر بهذه العوامل المادّيَّة الناسوتيَّة، فلا محيص من مراقبة الذِّهن واللِّسان في تحقيق صيرورة المعرفة الصائبة.

وما ينبغي التوجُّه إليه هو المحدوديَّة المطلقة في الإنسان في هذه النشأة الناسوتيَّة، حيث إنَّ جميع ما يمتلكه، بما في ذلك معرفته، محدود ومشروط بسبب الطبيعة المحدودة والمقولبة لوجوده، لكن هذا لا بمعنى مساوقة المحدوديَّة للخطأ، فلا يستنتج من محدوديَّة الوجود الإنسان وإدراكاته لزوم خطأ معرفته وعدم صوابيَّتها، إذ إنّه لزوم ما لا يلزم[1].

الصيرورة العرضيَّة ـ الأفقيَّة لتكوُّن المعرفة

حريٌّ القول أنَّ العمليَّة «العرضيَّة - الأفقيَّة» (الصيرورة الأفقيَّة) لتكوُّن المعرفة في النشأة الناسوتيَّة للإنسان[2] هي مكوِّنٌ لتفاعل وتكامل جوانب أربعة:

---

[1]- قال الشيخ الرئيس ابن سينا: «إنَّ للعارفين مقامات ودرجات يُخَصُّونَ بها، وهم في حياتهم الدنيا، دون غيرهم، فكأنّهم وهم في جلابيب من أبدانهم، قد نضّوها وتجرّدوا عنها إلى عالم القدس، ولهم أُمور خفيَّة فيهم، وأُمور ظاهرة عنهم يستنكرها من ينكرها، ويستكبرها من يعرفها».

وقال المحقِّق في شرحه: «إنَّ نفوسهم الكاملة، وإن كانت في ظاهر الحال ملتحفة بجلابيب الأبدان، لكنها كأنْ قد خلعت تلك الجلابيب، وتجرّدت عن جميع الشوائب الماديّة، وخلصت إلى عالم القدس متَّصلة بتلك الذوات الكاملة البريئة من النقصان والشّر، ولهم أُمور خفيَّة، وهي مشاهداتهم لما تعجز عن إدراكه الأوهام، وتكلّ عن بيانه الألسنة، وابتهاجاتهم بما لا عين رأت ولا أُذن سمعت». الطوسي الخواجة نصير، الإشارات مع شرحه، ج 3، النمط التاسع في مقامات العارفين: 363 ـ 364 .

وقد أشار صدر المتألّهين إلى إمكان الإلهام والإشراق بوجه عام، بقوله:

«إنّ الروح الإنسانية إذا تجرّدت عن البدن مهاجرة إلى ربّها لمشاهدة آياته الكبرى، وتطهّرت عن المعاصي والشهوات والتعلّقات، لاح لها نور المعرفة والإيمان بالله وملكوته الأعلى. وهذا النور إذا تأكّد وتجوهر، كان جوهراً قدسياً يسمى عند الحكماء في لسان الحكمة النظرية بالعقل الفعّال، وفي لسان الشريعة النبوية بالروح القدسي.

وبهذا النور الشديد العقليِّ، يتلألأ فيها أسرار ما في الأرض والسماء، وتتراءى منها حقائق الأشياء، كما تتراءى بالنور الحسّيّ البصريِّ، الأشباح المثاليَّة في قوّة البصر إذا لم يمنعها حجاب. والحجاب ها هنا هو آثار الطبيعة وشواغل هذا الأدنى. وذلك لأنّ القلوب والأرواح ـ بحسب أصل فطرتها ـ صالحة لقبول نور الحكمة والإيمان إذا لم يطرأ عليها ظلمة تفسدها كالكفر، أو حجاب يحجبها كالمعصية وما يجري مجراها.

وقال: إذا أعرضت النفس عن دواعي الطبيعة وظلمات الهوى، وولّت بوجهها شطر الحق، وتلقاء عالم الملكوت، اتّصلت بالسعادة القصوى، فلاح لها سرّ الملكوت، وانعكس عليها قدس الّلاهوت». الشيرازي صدر الدين، الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة، ج7، ص: 24

وهذا ما أكّده الفيلسوف الفرنسي هنري برْغسُن (Henri Bergson)، حيث ذهب إلى أنّ الإنسان إنمّا يدرك بعقله ظواهر الأشياء وقشورها، وأمّا إدراك حقائقها فإنمّا يتم له بالمراقبةَ المستمرة التي تنتهي إلى المكاشفة وشهود الوقائع. فَمَثَلُ مَنْ يريد دَرْك المعارف عن طريق العقل، كَمَثل من يريد أن يطلع على ما في البيت بتفحُّص جدرانه وسطوحه من الخارج. وأمّا من يريد درك الحقيقة بالإلهام والإشراق، فمثله مثل من يلج البيت ويتفحَّص الأشياء الموجودة فيه واحدة بعد الأُخرى. فروغي علي، سير حكمت در اوروبا، ج3، ص: 264.

[2]- باعتبار أنّ هذه النشأة هي التي تحدِّد حقيقته في عالم الواقع المنبسط، كما تذهب لذلك مدرسة الحكمة المتعالية، فحقيقة الإنسان هي في فصله الأخير. الخميني روح الله، تقريرات فلسه امام خميني، ج1، ص: 224، من هنا قال العلَّامة الطباطبائي: «ثمَّ إن حقيقة النوع هي فصله الأخير، وذلك لأنّ الفصل المقوم هو محصل نوعه، فما أخذ في أجناسه وفصوله الآخر، على نحو الإبهام مأخوذ فيه على وجه التحصل». الطباطبائي محمد حسين، بداية الحكمة، ص: 61. المترجم.

علوم المعارف
العدد الثامن - 1445هـ - شتاء 2024م

- «فاعل المعرفة» (قابل المعرفة)؛[1] «متعلّق المعرفة « (المعروف).

- ما وراء المعرفة وهي قسمان:

«مُعدِّات»، ومنها التجربة، والمشاهدة، «موانع».

العناصر الدَّخيلة في العمليَّة العرضيَّة الأفقيَّة لتكوُّن المعرفة:

1. السِّعة الوجوديَّة التشكيكيَّة: إضافة إلى الخصائص الذاتيَّة والنوعيَّة التي تؤثِّر في سعة المعرفة الإنسانيَّة ومستوياتها بعنوانها الأسِّ الأساس في وعي قابل المعرفة وفاعلها- فإنَّ الإنسان ذو سعة وجوديَّة مشكّكة غير متواطئة؛ ممَّا يعني أنَّ كلَّ إنسان لديه خصائص شخصيَّة مختلفة إيجابيَّة - سلبيَّة تؤثِّر بنحوٍ أو بآخر في عمليَّة صيرورة المعرفة وتكوُّنها.

2. ليست كلُّ متعلّقات المعرفة ذات طبيعة واحدة؛ بل لا يمكن أن تكون متداخلة من جهة النوع والحدِّ، قابليَّة الشيء للمعرفة وعدم قابليَّته، عنصر معوِّق وغير معوِّق[2]؛ فهذه كلُّها خصائص تؤثِّر بشكل أو بآخر في عمليَّة تكوُّن المعرفة وصيرورتها.

3. تلعب عناصر «ما وراء المعرفة» («المعدَّات» و«العوائق»)، إضافة إلى «الفاعل» و«المتعلِّق»[3]، دورًا في مهمًّا في عمليَّة تكوُّن المعرفة، فتكون الصيرورة التامَّة متشكِّلةٌ من صيرورة متدرِّجة في عمليَّة تأثيرٍ وتأثُّر متعدِّد الجوانب للعناصر الأربعة الناسوتيَّة العرضيَّة.

يُعدُّ الحسُّ من المعدّات، لا العوال والعلل، من دون أن يلغي ذلك مكانته في العمليَّة العرضيَّة الأفقيَّة، خصوصًا في مجال العلوم الماديّة الحسّيَّة؛ ومن وجهة نظر القرآن، فإنَّ استخدام الحواسِّ، وخصوصًا المشاهدة، له نوع حجَّة حتى في بعض أقسام المعرفة الدينيَّة؛ قال تعالى ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[4]، و﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ و ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**﴾ و﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[5]، و﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۖ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[6]، و﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[7]، وهذه آيات تتحدَّث بوضوح عن حجيَّة الحسِّ والتجربة.

---

[1]- إنّ ما تقدَّم بالتمييز بين فاعل المعرفة وقابل المعرفة (•قابل المعرفة وهو الإنسان؛ (recognizer) هو تفاوت لحاظ، وإلاَّ في الواقع هما واحد بالاصطلاح العلميِّ، كما إذا قلنا مات زيدٌ، فزيد هو فاعل الموت في حين أنه القابل لحدوث فعل الموت. المترجم.

[2]- بمعنى التأخُّر وعدم السرعة في حصول المعرفة، وعدم التأخُّر وسرعة حصولها. المترجم.

[3]- وهما الفاعلان الأساسيَّان وركنا العمليَّة الناسوتيّة لتكوُّن المعرفة - رغم أنَّ أحدهما فاعل والآخر منفعل.

[4]- آل عمران، الآية: 137.

[5]- الأنعام، الآية: 11، 76و 79.

[6]- العنكبوت، الآية: 20.

[7]- يونس، الآية: 101.

الأصل الثّامن:

هناك فروض عدَّة محتملة ومتنوِّعة للمعرفة في صيرورتها العرضيَّة وفق تعامل كلٍّ مكوِّن منها وفقًا للافتراضات المتنوِّعة التي تنشأ من تركيب وانضمام المؤلَّفات والعناصر الداخليَّة الموضوعيَّة للمعرفة مع الأضلاع العرضيَّة لكلٍّ من العناصر الأربعة في الصيرورة المعرفيَّة العرضيَّة، هي:

1. البعد عن الواقع والوقوع في الجهل والانحراف المعرفيِّ، ممَّا يعطي حالةً مضاعفة من الخطأ المعرفيِّ الأول (الجهل البسيط)، والتي كان عليها فاعل المعرفيَّة سابقًا (القابل)؛ إذ إنَّ وضع غير الواقع (الواقع الكاذب) بدلاً من الواقع الحقيقيِّ، يصبح الإنسان بعيدًا عن الجهل البسيط وبمسافاتٍ أكثر بعدًا عن الواقع، ويقع في «الجهل المركّب».

2. الحجب عن الواقع والبقاء على حالة الجهل البسيط الأوّل.

3. القُرب من الواقع والحصول على فهمٍ ناقصٍ غير كامل للواقع، (علمٌ إجمالي)؛ ففي هذه الحالة يكون الإنسان قد اقترب من الواقع رغم عدم تحصيل الواقع كما هو[1].

4. التعرُّف على الواقع هو الحصول على المعرفة الواقعيَّة المطابقة للواقع، ويحصِّل للإنسان العلم التفصيليّ.

ملاحظات

تحتاج نظريَّة المعرفة الدينيَّة الواقعيَّة (وعي المعرفة الدينيَّة الواقعي) إلى مزيد من المناقشة والبيان؛ وتفصيل بنيتها وتوضيح اصطلاحاتها، بالإضافة إلى أبحاث تكميليَّة، مثل:

1. شرح الكلمات الدلاليَّة (الكلمات المفتاحيَّة) المستخدمة.
2. إقامة الأدلّة العقليَّة والنقليَّة اللّازمة وتوفير الشواهد والأمثلة الكافية على المحاور والدّعاوى الأصليَّة للنظريَّة.
3. بيان التعادل والتراجيح لأنساق المعرفة وقنواتها في حال وجود تعارض ظاهريٍّ وصوريٍّ بينها.
4. الاستقراء والاستقصاء التفصيليُّ لعناصر وأجزاء كلِّ جانب من الجوانب الثلاثة أو الأربعة للعمليَّة الأفقيَّة.

---

[1]- العلم هو حصول ماهيّة الشيّء في العقل مجرّدة عن اللّواحق الخارجيّة، وهو إمّا تفصيليٌّ، فكمن علم مسألة ثمّ غفل عنها، ثمّ سئل عنها، فإنّه يحضر في ذهنه القدرة على الجواب عن تلك المسألة. وعلمه باقتداره على الجواب عنها يستلزم علمه بها، ولمّا لم يتميّز تلك المسألة ولا يعرف تفاصيلها، كان العلم بها إجماليًّا. الحلي الحسن بن يوسف، إيضاح المقاصد، ص: 196.
فعالم الإجماليِّ هو أن تكون صورة علميَّة واحدة سببًا لانكشاف أمور متعدّدة، وهو عبارة عن العلم بأمور متعدّدة لا تكون على وجه تمتاز بعضها عن بعض بالنّظر إلى ذاك العلم. الزنوزي عبد الله، اللمعات الإلهيّة، ص326.

علوم المبدأ LLMOLMABDAA
العدد الثامن - 1445هـ - شتاء 2024م

5. تدقيق وتحليل المخرجات السلبيَّة والإيجابيَّة لكلِّ جانب من جوانب العمليَّة الأفقيَّة والعناصر المرتبطة بكلٍّ منها في عمليَّة صيرورة المعرفة.
6. تحديد النسبة بين المكوِّنات ومدى ارتباط العناصر في ما بينها في الصيرورة المعرفيَّة العاديَّة وما وراء المعرفيَّة.
7. شرح الأنواع المعرفيَّة المخرجة (المحتملة) للعوامل العرضيَّة الأربعة، (البعد، والحجب، والقرب، والتعرُّف).
8. بيان الفرق والتفاوت بين هذه النظريَّة والنظريَّات المعرفيَّة التقليديَّة والمعاصرة، ودفع شبهة عقم النظريَّة وقصورها في الإنتاج المعرفيّ.
9. شرح وبيان منجزات تطبيق النظريَّة لاكتشاف كلِّ مجال من المجالات الهندسيَّة المعرفيَّة للدين (العقائد، العلوم، الأمور المعنويَّة، الأحكام، الأخلاق الدينيَّة).
01. بيان ارتباط النظريَّة في حلِّ المعضلات المعرفيَّة المعاصرة.

ملاحظات إضافيَّة

1. يُراد من اصطلاح المعرفة في عنوان النظريَّة «ناتج الجهد الموجَّه للوصول إلى الحقيقة»؛ وفي رأي الكاتب أنَّه لا يمكن الإصرار على نظريَّة المعرفة المبنائيَّة الموروثة في إنتاج جميع فروع العلوم الدينيَّة؛ بينما يمكن اعتباره «المعرفة الدينيَّة الواقعيَّة والوثوق بها في توليد وإنتاج العلوم الدينيَّة - وخصوصًا في مجال العلوم الإنسانيَّة. وبطبيعة الحال، فإنَّ الالتزام بنظريَّة المعرفة المبنائيَّة- النظريَّة المختارة لعموم حكماء الإسلام- أمرٌ صحيح وممكن في مجال العلوم الحقيقيَّة.

2. إنَّ اتِّصاف هذه النظريَّة بوصف «الدينيِّ» يرجع إلى صحَّة المبدأ تعالى والإشارة إلى هرم العمليَّة العموديَّة (الصيرورة الطوليَّة) لتكوُّن المعرفة وهبوطها من الصقع الإلهيّ.

إنّ اتِّصاف هذه النظريَّة بوصف «الواقعيَّة»؛ هو للدلالة على «واقعيَّة الوجود» والاعتراف بـ «واقعيَّة المعرفة»؛ بالإضافة إلى أنَّه لا يمكن تحقيق «المعرفة الشاملة الصادقة» إلَّا من خلال تجميع الأنساق (مجموعة القنوات والمجاري الخمسة، كما أنَّه اعتراف بمحدوديَّة المعرفة الناجمة عن خصائص العناصر الثلاثة «فاعل المعرفة» و«متعلّق المعرفة» و«المعدَّات» واقتضاءات «العمليَّة الأفقيَّة» كواقع؛ ذلك الواقع الذي اعترف به حكماؤنا العظماء منذ القدم، لذلك أدرجوا في تعريف الفلسفة قيد «حدود قدرة الإنسان على المعرفة»؛ وفي هذا قال الشيخ الرئيس أبو علي سينا: «إنَّ الغرض في الفلسفة أن يُوقَفَ على حقائق الأشياء كلِّها على قدر ما يمكن الإنسان أن يَقف عليه»[1]. وقال صدر المتألِّهين: «إنَّ الفلسفة استكمال النفس الإنسانيَّة بمعرفة حقايق الموجودات على ما

[1]- ابن سينا، الشيخ الرئيس بوعلي حسين بن عبدالله؛ منطق الشفاء، ج: 1، ص: 12.

هي عليها والحكم بوجودها تحقيقًا بالبراهين لا أخذًا بالظنِّ والتقليد بقدر الوسع الإنسانيِّ، وإن شئت قلت: نظم العالم نظمًا عقليًّا على حسب الطاقة البشريَّة ليحصل التشبُّه بالباري تعالي»[1]؛ وذلك لأنّ مبدأ المعرفة تعالى جعل القليل من العلم بالحقائق من نصيب البشر ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا**﴾[2]؛ ورسول الله صلىَّ الله عليه وآله هو الوحيد – هو العقل الكليُّ – الذي دعا الله بـ: «ربِّ أرِني الأشياءَ كما هي»[3].

3. هناك دور خطير للعقل في مجال تنقيح مناط «الحجيَّة المعرفيَّة للمدارك والمدركات الأخرى، وإحراز مصاديقها، « التعادل والتراجيح بين المدارك والمدركات، في حالةَ ظهور تعَارض صوريّ بينها، و«تهيئة الأرضيَّة لإجراء وتنفيذ منجزات العلم الدينيِّ في مجالات الحياة الإنسانيَّة»، وهي إحدى أهم الوظائف التي يمكن أن يعبرَّ عنها بآفاق ثلاثة: «المصدر»، و«المصباح»، و«المعيار».

الخلاصة

تقوم نظريَّة المعرفة الدينيَّة الواقعيَّة على قبول أنَّ المعرفة ظاهرة طبيعيَّة تحدث كصيرورة ضمن عمليَّة متأثِّرة بعناصر ستة دخيلة في جميع مراحل تكوُّن الإدراك البشريِّ؛ كما تتمُّ هذه العمليَّة في مسارين «المسار العموديّ» (نزول المعرفة وهبوطها من الصقع الإلهيِّ إلى الساحة البشريَّة) و«المسار الأفقيّ» (تكوُّن المعرفة في الساحة البشريَّة).

يمكن تفسير نظريَّة المعرفة الدينيَّة الواقعيَّة في قالب ثمانية مبادئ؛ وتعتبر من وجهة نظر مؤلِّفها نموذجًا أو أساسًا معرفيًّا مناسبًا لتوليد العلوم الدينيَّة بالمعنى الأعمّ[4]. ولكن، من أجل تحقيق العلم المقدَّس والعلم الدينيِّ بالمعنى الأخصّ[5]، يجب مراعاة العناصر الدخيلة في تكوُّن المعرفة وإدارتها بنحو صحيح.

قائمة المصادر والمراجع

1. قرآن كريم.

2. ابن ابي جمهور الإحسائي محمد بن علي بن إبراهيم؛ عَوالي اللّئالي العَزيزيَّة في الأحاديث الدّينيَّة؛ تحقيق مجتبى عراقي، انتشارات سيد الشهداء، قمّ المقدَّسة، 1403هـ.

3. ابن سينا حسين بن عبدالله، الإشارات والتنبيهات، شرح الخواجة نصير الدين الطوسي، انتشارات

[1]- صدرالمتألّهين، صدرالدين محمد؛ الحكمة المتعالية في الاسفار الأربعة، ، ج: 1، ص: 23.

[2]- الإسراء: الآية: 85.

[3]- الإحسائي ابن ابي جمهور، عَوالي اللّئالي العَزيزيه في الأحاديث الدّينيه ، ج: 4، ص: 132، المجلسي محمد باقر؛ بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الاطهار، ج: 14، ص: 10.

[4]- الذي يحتمل الخطأ.

[5]- الذي لا يحتمل الخطأ.

دار العلم، قمّ المقدَّسة، 1389 هـ ش.

4. ابن سينا حسين بن عبدالله؛ منطق الشفاء، منشورات مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي، قمّ المقدَّسة، 1404هـ.

5. برنجكار رضا، موسوعة العقائد الإسلاميَّة، انتشارات موسسه علمي فرهنگي دارالحديث، قمّ المقدَّسة، 1388هـ ش.

6. حسين زاده محمد، نظريَّة المعرفة والمعرفة الدينيَّة، انتشارات مؤسَّسة الإمام الخميني، قمّ المقدَّسة، 1484هـ ش.

7. الحلي الحسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات، انتشارات المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، 1421هـ.

8. الحلّيّ الحسن بن يوسف بن عليّ بن، إيضاح المقاصد في شرح حكمة عين القواعد، انتشارات جامعة طهران، طهران، 1378هـ ش.

9. الزنوزي عبد الله، اللَّمعات الإلهيَّة، تحقيق جلال الدين آشتياني، مؤسَّسة پژوهشى حكمت وفلسفة ايران، طهران، 2002.

01. صدرالمتألِّهين صدرالدين محمد؛ الحكمة المتعالية في الأسفار العقليَّة الأربعه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1419 هـ.

11. الطباطبائي محمد حسين، بداية الحكمة، تحقيق عباس علي السبزواري، انتشارات جماعة المدرّسين، قمّ المقدَّسة، 1394هـ ش.

21. فروغي علي، سير حكمت در أوروبا، انتشارات هرمس، طهران، 1399هـ ش.

31. الفيض الكاشاني محمد محسن، الوافي، تحقيق ونشر مكتبة الأمام أمير المؤمنين عليه السلام، أصفهان، 1312 هـ ش.

41. الكليني محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق محمد جعفر شمس الدين، انتشارات دار التعارف، بيروت، 1998.

51. المجلسي محمد باقر؛ بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار، انتشارات دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، 1365هـ.

16. مصادر ثانويَّة تمَّت مراجعتها من دون الاستناد إليها:

17. جوادي آملي عبدالله؛ شريعت در آينه معرفت، تحقيق وتنظيم حميد پارسانيا؛ انتشارات إسراء، قمّ المقدَّسة، 1387هـ ش.

18. رشاد علي اكبر؛ نگاهي ديگرباره به معيار علم ديني، نشرية قبسات، صيف 1400هـ ش العدد 100.

19. الكندي يعقوب بن إسحاق؛ رسالة الكندي في الحدود والرسوم؛ القاهرة، من دون مشخّصات، 1369 هـ.

20. الميبدي حسين بن معين الدين؛ شرح الهدايه؛ من دون مشخّصات، 1331هـ.